مقابلة مع شاهد القرن

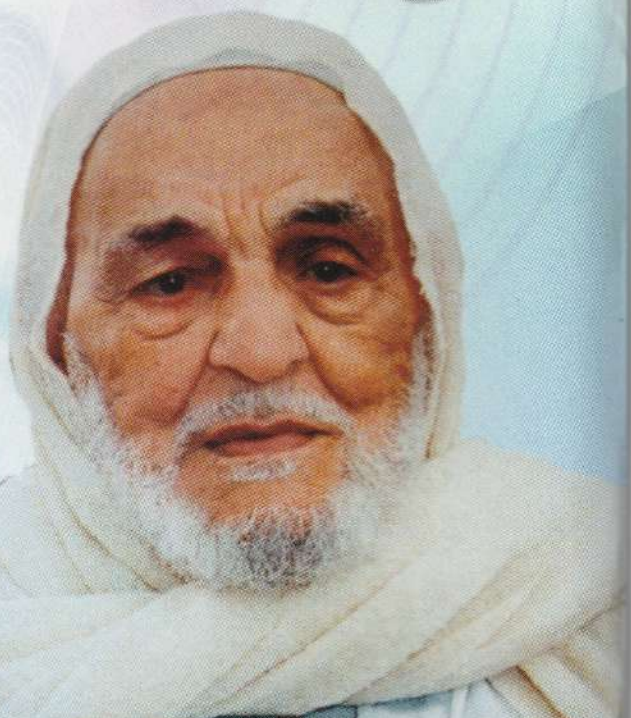

عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الشيخ عدون : (سعيد بن بلحاج شريفي)

1902م - 2004م.

حاوره تلميذه الأستاذ :

عمر إسماعيل آل حكيم

صائفة : 2002 م.

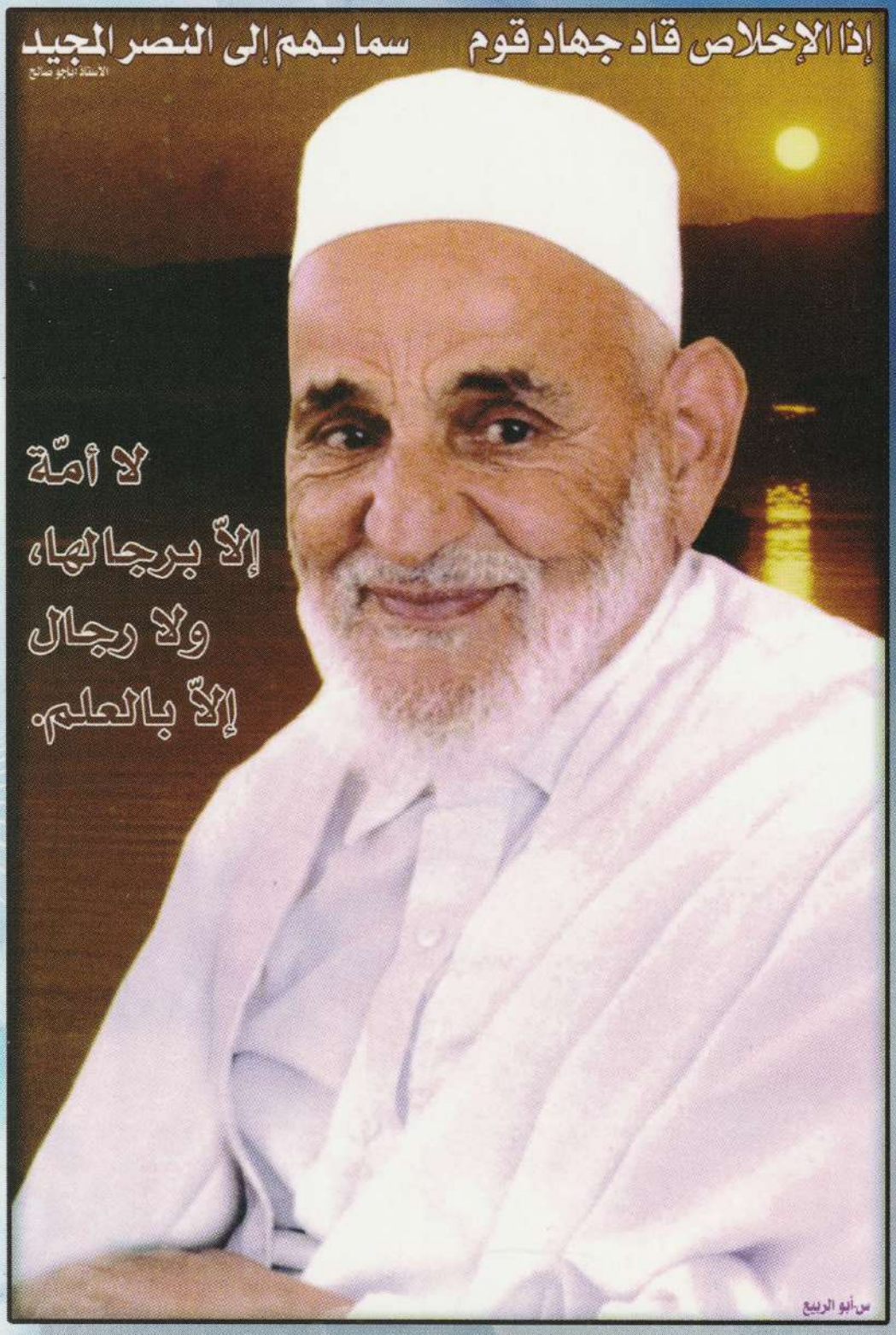
إذا الإخلاص قاد جهاد قوم سما بهم إلى النصر المجيد
الأستاذ ناجو فضائح
لا أمّة
إلاّ برجالها،
ولا رجال
إلاّ بالعلم.
س.أبو الربيع

مقابلة مع شاهد القرن

عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الشيخ: (سعيد بن بالحاج شريفي)

المعروف: بالشيخ عدون

1902 م – 2004 م.

حاوره تلميذه الأستاذ:

عمر إسماعيل آل حكيم

صائفة : 2002 م.

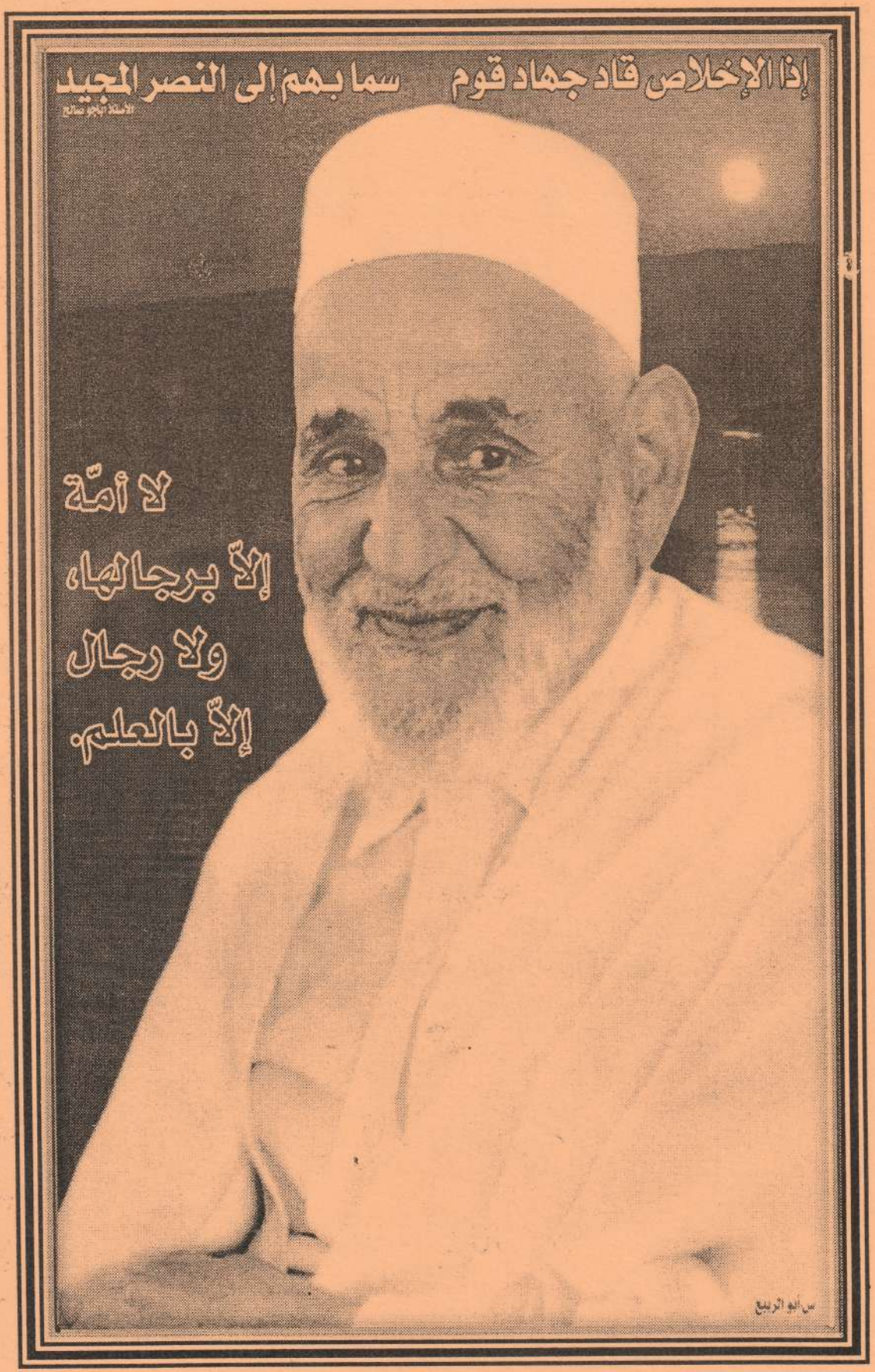
إذا الإخلاص قاد جهاد قوم سما بهم إلى النصر المجيد
الأستاذ البجو صالح
لا أمّة
إلاّ برجالها،
ولا رجال
إلاّ بالعلم.
س. أبو الربيع

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ

مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُا ﴾

سورة فاطر الآية: 28.

صدق الله العظيم

مقابلة مع شاهد القرن

عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الشيخ: (سعيد بن بالحاج شريفي)

المعروف: بالشيخ عدون

1902 م. - 2004 م.

حاوره تلميذه الأستاذ:

عمر إسماعيل آل حكيم

صائفة: 2002 م.

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

1427 هـ / 2006 م.

كلمات مضيئة:

شعارات كثيرا ما ردّدها الفقيد:

- **الإخلاص**، " كما قلت مرارا: ليس معناه: أن تتقن عملك فحسب !! **الإخلاص**: أن يكون العمل لوجه الله تعالى، تتحمل الأذى وتصبر عليه، وتشكر النعمة كذلك، وأن تعمل لوجه الله لا تريد جزاء ولا شكورا كما قال تعالى ".
- " أنت على ثغر من ثغور الإسلام، فاحذر أن يؤتى هذا الثغر من قبلك".
- " الأخلاق قبل العلم، ومصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد".

المقدمة:

أداء لبعض الحقوق التي علينا لمشائخنا نقدّم هذا الحوار الصحفي الصريح الصادق مع فقيد ميزاب والجزائر والمسلمين الشيخ: شريفي سعيد بن بلحاج (الشيخ عدون) الذي صادف القرن من ميلاده - رحمه الله - حين راجعنا النص النهائي معه، وهو حوار جمعنا به صائفة 2002 م بدار الحاج داود حواش بحي: (باعيسى وعلوان) بغرداية، بحضور الأخ الأستاذ: د. مصطفى بن صالح باجو.

ثمّ تَمّت مصادقة الشيخ عليه، بعد تحريره وتلاوته عليه، وهو منصت بكل تركيز معنا جزئية جزئية، بعد العِشاء والعَشاء، وإثر لقاء جمعه بالإذاعة المحلية حول مدرسة الحياة وحول تعليم البنت.

أطلعناه على النص وفاء لوعد قطعناه معه، تقديرا لإخلاصه وصدق نيته، وهو تصرّف لا يحصل في العمل الصحفي إلا استثناء.

ومرّات - ونحن نتلوا عليه النص الطويل- يثير كبرُه

إشفاقنا فنسأله: لا بأس شيخنا، أنواصل؟ فيجيب مؤكدا: أكمل أكمل. وكان ذلك بداره بالقرارة شهر أكتوبر ذكرى مائة من ميلاده (أكتوبر 1902 – أكتوبر 2002 م) بحضور الأخ: سليمان أبو الربيع.

وأطلعنا على النص النهائي كذلك نجله بلحاج بن سعيد شريفي الأستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر قبيل نشره في جريدة (اليوم) على ثلاث حلقات في الأعداد الصادرة بتاريخ: 26 / 27 / 29 أكتوبر 2002 م.

نقدّمه اليوم للقارئ الكريم تعميما للفائدة نظرا لكونه وثيقة أساسية مصدرية، بعد أن تم طلبها ولمناسبة تخصيص مجمع المدارس القرآنية بالجزائر العاصمة في الأسبوع الممتد بين 11 – 16 ديسمبر 2004 م يوما تربويا حول حياة الشيخ وآثاره، وحول مسيرته الصامتة العامرة، التي أتت وستؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أسكنه الله فسيح جنانه مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

أبو مصطفى...

الحلقة الأولى:

حوار مع الشيخ
في الذكرى المائوية
من حياتـــه:

(أكتوبر 1902م)

(أكتوبر 2002م)

وقد تجاوز القرن بالشهور القمرية

تمهيد:

ـ لأول مرة تنال جريدة ① حوارا مع الشيخ (شريفي سعيد) المعروف بالشيخ (عدون)، ولقد اشتدت الرغبة لمحاورته إثر آخر احتفال قامت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ذكراها التأسيسية، فهو أحد أعضائها الأوائل، وقد مضى من عمره ما يقرب من القرن مع التربية والتعليم والإرشاد والتوجيه، فهو أحد مؤسسي معهد الحياة بالقرارة الذي تخرج فيه أدباء ومرشدون ورجال تحملوا المسؤولية على مختلف المستويات في الدولة الجزائرية وخارجها، عمره تجاوز المائة سنة ولا يزال يطالع آخر الإصدارات و يقرأ الصحف والمجلات ويتابع مختلف الأحداث الوطنية والدولية، لقد كان ولعه بالصحافة قديما، لقد كان ينشر مقالاته بصحافة أبي اليقظان حتى أنه خلفه في إدارة جريدة (الأمة) لمدة عام كامل وذلك سنة 1936 م، كان يمضي مقالاته باسم: (سعيد)، واسمه الأصلي: (عدون) بن بلحاج بن عدون بن الحاج عمر، وهو الذي اشتهر به إلى يومنا، وحين أنشئت الحالة المدنية الرسمية بمنطقة وادي ميزاب أيام الاستعمار سنة 1937 م اختار

① - (اليوم) يومية جزائرية تأسست سنة: 1998 م.

لنفسه اسم (سعيد) ووضع اللقب للعائلة (شريفي) نسبة إلى أحد أقاربه من الأجداد وهو الحاج سعيد المعروف بالشريف.

حاورناه في حديقة مخضرة تابعة لمسكن أحد الأفاضل وهو يقضي فترة استرخاء اعتاد اقتطاعها كل سنة تقرب الأسبوع. سألناه فأجابنا بكل عفوية وتلقائية:

○ *هذه فرصة تتاح لنا لنتحدث معكم شيخنا الفاضل في جوانب عدة من حياتكم وحياة وطننا الكريم ، ولعل أهم المحاور التي نتناولها: ما يتعلق بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لكونكم أحد أعضائها القدامى، وما يتعلق بالتربية والتعليم نظرا لكونكم أحد أعمدته و لكثرة الحديث عنه هذه الأيام.*

ولنبدأ فنقول: من هو الشيخ شريفي سعيد، المعروف بالشيخ عدون ؟

◎ ــ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد: جئتني أيها الابن العزيز في آخر عمري وإن شئت فقل: في أرذل العمر، إذ نسيت كل شيء، فالسنون الماضية ــ هي تقريبا قرن كامل ــ قد محت أكثر ما بقي في الذهن، كيف أستطيع أن أجيبك عن

الأسئلة التي تسألني عنها ؟ ربما بقي الشيء القليل في الذاكرة من الأمور التي مضت في صغري، أما في الكبر بعد الأربعين فكل شيء ــ كما هي طبيعة الإنسان ــ يمحا ولا يبقى منه إلا القليل النادر، إذا، لو سمحت لي وأعفيتني من هذه المهمة الصعبة لفعلت خيرا، ومع هذا لا أحرمك فيما أستطيع أن أقوله لك مما بقي من القلة القليلة جدا في الذهن. اسألني عما شئت أجبك بما أستطيع أن أجيبك عنه.

○ ***بارك الله فيكم شيخنا، وشكر لكم تواضعكم هذا الجليّ وتذكيركم لنا بأن الإنسان يتدرج بعد الضعف من قوة إلى ضعف.***

أعود مرة أخرى فأطلب من الشيخ الفاضل الذي تجاوز القرن من الزمن أن يدلي بنفسه معرفا شخصه الكريم. فمن هو الشيخ عدون ؟ وكيف نشأ ؟

◎ ــ لا أعرف من أين أبدأ حياتي الطويلة التي أستطيع الإدراك فيها، والتي لا تقل عن تسعين عاما، وأنا تجاوزت القرن، لا أستطيع كيف أبدأ هذه الحياة، فهذا يحتاج

إلى وقت طويل وساعات طويلة، لا أدري كيف أبدأ..

○ ***ابدأ شيخنا من حيث شئت، وكيفما شئت.***

◎ ــ إن فترة التحصيل التي تبدأ من السنة السادسة من العمر إلى السنة العشرين على الأقل لم يتح لي أن أتعلم فيها التعليم المتعارف عليه الآن، فالتعليم إذ ذاك - في بلدتنا وفي جميع الوطن - ضعيف جدا إنما هو تعلم في الكتاتيب الصغيرة التي تقتصر على تحفيظ القرآن، وهناك بعض المدارس الابتدائية الرسمية الفرنسية التي تقتصر على الفرنسية، وهذه كذلك لم يتح لي الحظ بان أتابع الدروس فيها. وإنما أخذت بعض الحصص في بعض الكتاتيب في السنوات الأولى من العمر ــ *السابعة و الثامنة* ــ لحفظ القرآن الكريم، كذلك أخذت السنة الأولى والثانية ابتدائية في المدارس الرسمية الفرنسية.

بعد ذلك في العاشرة من عمري توفي أبي وتركني فقيرا، بقيت الوالدة ومعها خمسة أولاد، بنتان صغيرتان تزوجتا حوالي الثانية عشر أو الثالثة عشر من العمر، وبقينا

نحن الأربعة الأم وثلاثة أطفال يتامى. أبي توفي كما يقال عندنا: غارق ذمة، كان تاجرا وظروف قاسية مرت به فمات مدانا، واضطررنا أن نخرج من الدار التي بناها ويتلقانا الشارع، ولكن احتضننا خالنا بضعة شهور ثم سافرت إلى التل وأنا صغير وكان ذلك سببا لتفكك العائلة فبقيت الوالدة مع أخيها وولديها الصغيرين.

هناك في قرية صغيرة، في (سريانة) التابعة لولاية (باتنة) نشأت، وتابعت الدراسة سنتين في المدرسة الرسمية الفرنسية أقرأ فيها ثلاثة أيام أو أربعة في الأسبوع، وأكون بقية الأيام الأخرى مشغولا - وأنا ابن عشر سنين - بالعمل في دكان تجاري، والعمل بسيط، وهو عمل يستطيع أن يقوم به طفل في العاشرة من عمره جمع بين العمل وبين التعلم الابتدائي.

بما أنني قرأت ثلاث سنوات في التعليم الابتدائي الفرنسي الرسمي بقي شيء من اللغة والحساب فاستطعت أن أشارك في التجارة، وأن أشارك في التعامل مع عائلات وزبائن القرية التي كنا فيها، فهي قرية يسكنها المعمرون

الفرنسيون، ولقد مارست فيها شيئا من التجارة في فترتين، الفترة الأولى هي هذه التي قضيتها في سنتين ونصف، وعمري إحدى عشرة سنة أو اثنتا عشرة سنة إلى الخامسة عشرة. بعد ذلك رجعت إلى بلدتي القرارة أقمت فيها بضعة شهور ثم عدت إلى التجارة، لا إلى التعلم، فقد فاتني الركب وفاتني القطار وبقيت في الدكان أعمل كأجير صغير جدا، بعد أن قضيت هنا ك ثلاث سنوات وبضعة شهور رجعت إلى البلد وعكفت على حفظ القرآن في إحدى الكتاتيب الموجودة في القرارة، عكفت حتى حفظت القرآن في شهور، فالتحقت بجماعة (إروان) وبمعهد: شبه معهد، قائم على العلوم الشرعية والعلوم العربية وحفظ المتون بمنهجية التعليم القديم.

إذ بعد أن تزوجت وعمري سبعة عشر عاما، دخلت المعهد، فتعلمت به شيئا من العربية وشيئا من أصول الدين والفقه كما هو التعليم القديم ولا وجود للدروس التي تقرأ الآن بالتطبيق.

○ *هذا بمعهد الحياة ؟*

◎ ــ لا ، قبل معهد الحياة.. أقمت فيه ثلاث السنوات، ثم بعد ذلك صرت بحق ركزة في هذا المعهد الذي يجمعنا في حوالي عشرين تلميذا، وليس هناك أي نظام قار، وإنما أي كان يمكن أن يلتحق بنا فيقضي معنا شهورا أو سنة أو سنتين وينقطع، ويمكن أن يعود إلينا بدون نظام وبدون امتحان، تعليم قديم على شيوخ نتعلم عندهم العلوم بدون تطبيق.

بعد ذلك اقتضى الحال أن تتغير الأساليب وأن نعمل بكل جهد في تطوير هذا التعليم القديم ليكون تعليما عصريا، دروسا في اللغة العربية مطبقة بدروس الإنشاء والأدب. ولكن رغم ذلك فقد اقتصرنا على المواد الأساسية: العربية ومتونها والأدب والتاريخ والأخلاق هذه هي دروسنا.

بعد أن وقع شيء من الخلاف بين كبار طلبة الشيخ (الحاج عمر بن يحى)، خلاف في التفكير، وكان الخلاف جاريا مدة طويلة، اختلاف في النظريات وفي التطوير. وبعد ذلك سعينا

في تكوين معهد الحياة، وكان الشيخ بيوض من الطلبة البارزين، إذ حين وقع انفصال بين الطلبة الكبار، أغلبيتهم منضمة إلى الشيخ بيوض، وأنا منهم، وقع افتتاح معهد الحياة الذي أنشأه ووضع أسسه، ولم يسم معهدا، وإنما سمي: (مدرسة الشباب).

أسس معهد الحياة في سنة 1925 على بضعة عشر طالبا بالتقريب، وبعد ذلك صار يتطور شيئا فشيئا، وقع التطور في التعلم بحسب تطور السنوات وبحسب الفنون إلى غير ذلك، وتأسست جمعية الحياة في سنة 1937 فانتظم التعليم بعد سنة أو سنتين، وكان في التعليم امتحانات بين السنوات كما هو منظم اليوم، ثم بعد ذلك تطور شيئا فشيئا، وسرنا على ذلك حتى بعد الاستقلال. تطور التعليم بعد الاستقلال، بعد سنة: 1962 م، فأدخلنا الفنون التي كانت تدرس في المدارس الرسمية من لغة فرنسية ولغة إنكليزية، وفنون أخرى كالرياضيات وغيرها من الفنون التي نشارك بها في الشهادات الأهلية وشهادات البكالوريا.

كنت غالبا المشرف على التعليم قديما وحديثا، هـــذا التعليم القديم الذي بدأ منذ أن دخلت المعهد صغيرا وأنا ابن 20 عاما، وأنا مستمر في تطويره وفي السهر عليه، ولا أزال أعمل بقدر استطاعتي.

وتعرفون حالة المعهد الآن، إنه يساير الحياة العصـــرية ويشارك طلبتـــه المتخرجـــون في الأهليـــة وفي البكالوريـــا وينجحون بحسب استطاعتهم واجتهادهم من بضعة وثلاثين في المائة و يصلون إلى 40 في المائة أو أكثر، كسائر المعاهـــد الأخرى أو كسائر الثانويات الرسمية لا يقل عنـــهم نجاحـــا وذلك حسب السنوات.

وعلى كل حال فإن الشيخ بيوض هو القائم على هذه الحركة مشتغلا بالتدريس منذ تأسيس المعهد سنة 1925 إلى أن دخل في المجلس الجزائري سنة 1948 فترك التـــدريس في المعهد، ولكنه اشتغل بالإصلاح العام ملازما له منـــذ كـــان عمره 20 عاما، واقتصر علـــى دروس يوميـــة في التفســـير والحديث بالجامع الكبير.

والإصلاح العام يشمل جميع نواحي الحياة: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وإصلاحاته كثيرة وله جهاد كبير، فالتاريخ تعرفونه وتجدونه مفصلا في كل مكان، وإنما أتعرض لحياتي الخاصة كما تطلبون، إذا بعد ذلك قمت بتأسيس جمعية قدماء التلاميذ سنة 1949 م، وهذه الجمعية يديرها طلبتنا القدماء من وادي ميزاب الذين تخرجوا من معهد الحياة وكانت هذه الجمعية سائرة بنشاط منذ تأسيسها، وكانت أغلب أعمالها منصبة على التعليم وتطويره وإصلاحه، وعينوني مفتشا أقوم بمدارسنا الحرة المنتشرة في وادي ميزاب والمنتشرة في التل، وكنت أتجول في العام الأول والثاني مرتين في السنة، ثم بعد ذلك اقتصرت على المرة الواحدة. أتجول على هذه المدارس الموجودة في القطر الجزائري كله وفي وادي ميزاب بالخصوص، وفي كل سنة بعد الجولة أكتب تقريرا وأرسله إلى كل مدرسة.

ودمت على هذا المنوال من سنة 1948 إلى سنة 1985، بعد ذلك عجزت عن التفتيش لأنه يقتضي نشاطا

ويقتضي جهودا كبيرة، خصوصا وأنا مرتبط بالمعهد بدروس منتظمة، لا أستطيع أن أفارق المعهد، فكنت آخذ في كل سنة أسبوعين أو ثلاثة خارج وادي ميزاب ثم أعود.

وكما قلت فإن التفتيش يحتاج إلى جهود كبيرة، وظروف التفتيش مرتبطة بحضور التلاميذ، وأغلب المدارس أوقات دروسها بعد صلاة الفجر، وعشية على الساعة الخامسة. وكنت في بلاد التل تارة أخرج من (سطيف) إلى (قسنطينة) قبل الفجر بساعة حتى أصل إلى (قسنطينة) بعد صلاة الفجر مباشرة وألحق التلاميذ اللذين يدرسون بعد الصلاة، وأفعل مثل ذلك في بعض المواطن البعيدة، مثلا من (تيقورت) إلى (ورقلة) كذلك أبكر قبل الفجر بساعة ونصف أو ساعتين. فالتفتيش يحتاج إلى جهود كبيرة لهذا لم أستطيع أن أقوم به فتخليت عنه سنة 1985 م وأنبت منابي الشيخ: بكوش محمد بن سليمان (رحمه الله)، وقد أحسن القيام بها في السنوات التي تولاها حتى توفاه الله تعالى. ثم بعد ذلك بعد سنتين أو ثلاث اشتكى الناس وطلبوا مفتشا في

ميزاب وفي غير ميزاب فعينت لهم المفتش الموجود الآن: الشيخ بالحاج بكير بن يحي بن الحاج بكير، وكان هو القائم به الآن في بلاد التل، بقي وادي ميزاب إلى الآن بدون مفتش عينت لهم بعض المفتشين ولكن لم يجدوا وقتا أو لم تسعفهم الظروف.

ذلك بعض عملي، ولقد بقيت الآن مقتصرا على القيام بجمعية الحياة وبإدارة المعهد، وكنت مديرا للمعهد منذ تأسيسه سنة 1925 م إلى اليوم، رغم وجود الشيخ بيوض مشرفا على التعليم وعلى غيره، ولكن إدارة التلاميذ والدروس وتطبيقاتها والامتحانات وما إلى ذلك، فأنا الذي أقوم به منذ سنة 1925 إلى 1985، وزدت أربع سنوات أو خمسة حوالي 1989 أو 90، و انقطعت عن المعهد وكنت أقوم فيه فقط بدروسي المتعلقة بالعربية إلى سنة 1989 أو 90 كذلك ــ وعجزت بعد ذلك عن ملازمة هذه الدروس، واقتصرت في السنوات الأخيرة على دروس الأخلاق أعطي ساعة في كل أسبوع لطلبة السنة الأولى والثانية، ثم عجزت

عنها كذلك، وبقيت متمسكا بـــالإدارة ولا أزال إلى الآن، أعتبر مديرا لمعهد الحياة والمشرف عليه مســـتعينا بأعضـــاء إدارته، وأني رئيس جمعية الحياة قائم بشؤونها كلـــها، إلا أني عاجز عن إكمال الجولات لأنها تحتاج إلى جهود وإلى صحة وأنا عديم الصحة كما تعرفون تجاوزت القرن أو على حدود القرن ذلك هو خلاصة حياتي فيها أذكر.

أنا الآن أعتبر رئيس (العزابة)، ورئيس (مجلس عمـــي سعيد)، ورئيس (جمعية الحياة)، ورئيس (جمعيـــة التـــراث)، ورئيس (جمعية القدماء) ورئيس (العشيرة) ولا أزال أعمل إلى أن يناديني ربي إلى جواره حيث ألقاه راضيا مرضيا إن شـــاء الله، فذلك ما أرجوه من حياتي، و هذا ما يمكنني أن أقولـــه بكل اختصار كما تعرفون.

الحلقة الثانية:

المنظومة التربوية من منظور شيخ قضى من عمره قرنا مع التربية والتعليم.

تمهيد:

في الحلقة الماضية كان الحديث عن حياة الشيخ (شريفي سعيد) وعن معهد الحياة وتطوره، وفي هذه الحلقة سيكون الحديث عن البرامج الدراسية في معهد الحياة وعن مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعن إصلاح المنظومة التربوية.

○ *أستاذنا.. في هذه المسيرة المباركة، وقد تحدثتم عن المسيرة التربوية على وجه الخصوص وذكرتم أنكم زاولتم التعليم في إحدى الكتاتيب ثم أنشأتم (معهد الشباب) قبل نشأة (معهد الحياة) وتطورت الدراسة في معهد الحياة واختلفت برامجه فيما بعد الاستقلال عما كانت عليه قبل الاستقلال. ما تقييمكم لبرامج هذه المسيرة التعليمية من الانطلاقة إلى اليوم؟ هل هو نمو وتطور مقبول أم في ذلك انحراف عن المنطلقات الأولى؟ وبعبارة موجزة ما هي الإيجابيات والسلبيات في هذه المسيرة الطويلة المباركة؟*

◎ ــ التسمية هذه: مدرسة الشباب، أو "معهد الشباب"، أو "معهد الحياة"، هذه ليس لها تأثير في البرامج،

وإنما التسمية جاءت أول مرة هكذا فسميناه مدرسة الشباب وهو معهد في حقيقة الأمر، فبعد بضع سنوات سَميناه معهدا وذلك للفرق بين المدرسة الابتدائيـــة والمدرســـة الثانويـــة والمتوسطة ثم جاءت جمعية الحياة في سنة 1937 غيرنا الاسم عوض أن نسميه معهد الشباب سميناه معهد الحياة. فالنظـــام واحد كما قلنا، نظام قديم يتطور بحسب تطور الدروس، فقد كانت الدروس يلقيها بعض المشايخ القدماء سابقا، ومنـــذ تأسيس المعهد سنة 1925 م كانت الدروس العامـــة كلـــها يلقيها الشيخ بيوض على الطلبة جميعا وكنت منذ تأســـيس هذا المعهد أقوم ببعض الدروس الابتدائية العربية أو دروسا في الأدب العربي خاصة، فأنا أساعد الشيخ بيوض فيهـــا، أمـــا أغلب الدروس فيلقيها على جميع الســـنوات وهـــي تتعلـــق بالعقيدة وأصول الدين، والفقه وأصول الفقه، والتـــاريخ في بعض الأحيان، ودروس اجتماعية يأخذها من بعض الجرائد الشرقية التي تأتينا من المشـــرق العـــربي. ودروس أخلاقيـــة أسبوعية يلقيها على جميع الطلبة هي دروس تنهيضية عصرية،

يدخل الناس بها في الحياة الاجتماعية والسياسية الخاصة بظروف المجتمع الإسلامي بالخصوص. وبمقتضى المدارس والمجلات التي تأتينا من الشرق على طريق تونس هذه طورت التعليم وأثرت فيه.

○ ***ما هي أهم المجلات التي تتذكرونها كان يعتمدها ؟***

◎ ــ يعتمد على مجلة (الفتح) وهي مجلة إسلامية، وهي حقا من أعظم المجلات التي نعتبرها إسلامية محضة تدافع عن الإسلام أين ما كان، شعارها دائما: " ***أنت على ثغر من ثغور الإسلام فاحذر أن يؤتى هذا الثغر من قبلك***" فهي تخاطب المسلم أينما كان. ذلك هو شعارها، هي من أحسن الجرائد، يختار الشيخ بيوض منها بعض الفصول..

○ ***غير ذلك من المجلات ؟***

◎ ــ بعد ذلك مجلة (الصاعقة) وجريدة (الشورى) وهما جريدتان أسبوعيتان، ومجلة (الرسالة) المصرية كذلك تأتينا أسبوعيا، يكتب فيها فطاحل علماء الأزهر ومن الكتاب: الشيخ صادق الرافعي والعقاد وطه حسين واحمد

حسن الزيات الذي هو مدير هذه المجلة وهو مسيرها، ولقد كان عندنا فيها اشتراك.

نسيت أن أقول لك: إن المعهد منذ تأسيسه في سنة 1925م وتطوره وتبلوره كمعهد كانت له جمعية أدبية أسبوعية -كما تعرفون - تنشط دائما في تطبيق المعلومات، وفي تطبيق العربية بخطب وشعر وما يتعلق بالأدب العربي وما يتعلق بالمجتمع وما يتعلق بالمحاورة والمناظرة. وكانت المطامح المختلفة من بعض الطلبة البارزين في المعهد توقعهم في جدالات ومعارك، لكنها معارك خاوية ودية، تصل في بعض الأحيان إلى عراك لساني شديد. هذه الجمعيات استمرت إلى يومنا، وأنا رئيسها منذ تأسيسها سنة 1925م أو 1926م إلى سنة 1948م حيث أعطيت الرئاسة للشيخ الناصر المرموري وكنت أشرف عليها، واستمرت هذه الجمعية إلى الآن، كانت جمعية واحدة وأصبحت الآن جمعيات لكل طبقة (المستوى الدراسي) جمعية، وهي تظهر في ميادين مختلفة، خصوصا في بعض حفلات الأعراس والحفلات الموسمية

كحفلات المعهد، وفي كل ذكرى مولد النبي الشريف تقام حفلة عامة في البلدة في ليلة المولد، وبعدها بأسبوع يقوم طلبة المعهد بحفلة أخرى بها أناشيد من إنشادهم وإنشاءهم وتلحينهم، ففي كل حفلة يأتون بخمسة أو سبعة أناشيد جديدة، ظهر مثل هذا العطاء مع سنة 1940 إلى 1950 إلى ما بعد..

○ ***هل مثل هذا الإنشاء والإنشاد قائم إلى اليوم؟***

◎ ــ لا، هذه الأيام لم يبق منه شيء، لا شيء منه اليوم.

○ ***ما السبب؟***

◎ ــ السبب: كنت أنا المشرف عليها والقائم بها، ولكن عجزت عن ذلك. ولقد عوضت بالجمعية التي لا تزال إلى اليوم تقوم بالحفلات التي تقع في الأعراس، ومثلها موجود في داخلية الحياة ويسمى: لقاء الجمعة، وموجود في المعهد كذلك لطلبة القرارة إلا أنها غير منتظمة.

○ ***لماذا كانت الجمعية سرية في بداية تأسيسها سنة 1925م أو 26 ؟***

◎ ــ نعم الجمعية كانت سرية لأنه أولا كانت الجمعية هي التي تقوم بتسيير المعهد بطريقة الانتخابات، ثم أيضا هناك بعض التلاميذ لا يؤتمنون عليها فكانت سرية وهي تحتاج إلى الترسيم إلا أنه مراعاة للوضع العام: النظام الفرنسي العسكري الاستعماري، فكنا لا نستطيع إظهارها ولكن هذا دام فترة قصيرة، فبعد الخمسينيات أصبحت جهارا، فكنا لا يدخلها إلا بعض الطلبة الممتازين فهم الوكلاء وهم المسيرون للمعهد وهم الناشطون في هذه الجمعية ثم بعد ذلك توسعت إلى جميع التلاميذ وأصبحت جهرية غير سرية، والسرية هذه دامت عقدا أو عقدين فقط.

○ ***مرة أخرى شيخنا نعود إلى البرامج الدراسية، فنظرا لمواكبتكم البدايات الأولى للبرامج في الكتاب (الكتاتيب) وفي مدرسة ومعهد الشباب وفي معهد الحياة وما تلاه من التطور إلى يومنا بمتابعته للبرامج الرسمية، فأنتم من أهم من يجب أن يدلي برأيه، فهل هذا شيء إيجابي أم سلبي ؟***

◎ ــ هذا إيجابي، تبعا للظروف. قبل الاستقلال كنا نسير وفق حالة خاصة، ليس هناك توظيف، وليس هناك مسلم يتولى وظيفة، أو يتولى أمور إدارة رسمية لا يوجد أبدا، إلا المتخرج من المدارس الرسمية، وهم قلة، قل ما تجد طبيبا مسلما أو إداريا مسلما أو موظفا مسلما حتى في الوظائف الخاصة فهؤلاء قليلون قبل الاستقلال كما هو الشأن في القطر كله، لهذا كنا لا نحتاج إلى دروس تؤهل للوظيف، كنا نحتاج إلى دروس إسلامية دروس تخص الحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية، فلما جاء الاستقلال صرنا، نتناول الدروس التي تفتح أبواب الحياة، بل إن هذه الدروس، كالرياضيات مثلا، بدأت قبل الثورة التحريرية في أوائل الخمسينيات، وصرنا نتوسع، وخصوصا بعد الاستقلال إذ ذاك أخذنا برنامج المدارس الرسمية فيما يتعلق بدروس الأهلية ودروس البكالوريا، ولم نتخل عن الدروس الأصلية للمعهد: دروس العلوم الإسلامية والعلوم العربية، لم نقطع الصلة بالعربية، الصلة لا تزال قوية.

بالنسبة للدروس الأخرى: العقيدة والتاريخ والتفسير والأحاديث، فهذه لا تزال بمكانتها، فلم تأت الرياضيات على حساب الدروس القديمة التي أسس عليها المعهد فهي لا تزال إلى اليوم. نعم فيه شيء من التقليل من هذه الدروس فالناس يميلون إلى الشهادات الرسمية لهذا وقع شيء من الاختزال لكنه قليل لا يعتبر، أما دروس الشريعة فهي لا تزال قائمة في السنوات المتوسطة وفي السنوات الثانوية.

ويكون الاختصاص في الشريعة في السنوات التي تأتي بعد مستوى الثانوي، فهذه لا تزال على حالها، فكأن هذه الدروس في الشريعة هي سلسلة الدروس التي كانت تلقى في المعهد قبل الاستقلال فالطالب بعد أربع سنوات يتخرج برسالة يكتبها وتناقش كما تناقش الرسائل في الجامعة، فهذه الدروس لا تزال قائمة كنموذج من الدروس التي كان يسيرها الشيخ بيوض للطبقة العليا في المعهد.

○ ***بالنسبة لمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لماذا توقفت؟ ولماذا معهد ابن باديس أصبح الآن أطلالا ؟ فهل ربحت أم خسرت الجزائر بذلك ؟***

◎ ــ الجزائر خسرت خسارة كبرى، الجزائر لو استمرت على طريقة جمعية العلماء التي أنشئت في عام 1931، واستمرت على نشاطها، خصوصا في العقد الرابع في الثلاثينات، والعقد الخامس في الأربعينات، وأواسط العقد السادس إلى سنة 1956، لو استمرت على ذلك لكانت الجزائر غير الجزائر اليوم، ولكن - وللأسف - لما جاء الاستقلال فإن رؤساء الجمعية أنفسهم تخلوا عنها اعتمادا على أن الدولة إسلامية وهي التي تقوم بهذه المدارس وقد حذرهم الشيخ بيوض حين كان يتولى شؤون التعليم في اللجنة التنفيذية المؤقتة، وكانت هي وزارة التعليم إذ ذاك كما تسمى الآن، فقد دعا بعض بقية العلماء أظن منهم الشيخ عبد اللطيف سلطاني، والشيخ سحنون وحذرهم قائلا: أين جمعية العلماء ؟ وأين مدارسها ؟ لماذا تخليتم

عنهـــا ؟

لأنه منذ سنة 1956 معظم الطلبة الكبار خرجوا من الجزائر فبعضهم صعد إلى الجبل ملتحقا بالعمل العســـكري وبعضهم خرج من الجزائر إلى القـــاهرة وإلى تـــونس وإلى الكليات الأخرى في الشـــرق في العـــراق وفي ســـوريا وفي الكويت، فالشيخ بيوض دعا هؤلاء وحذرهم من ذلك، قالوا نحن الآن في دولة الإسلام نعتمد على هذه الدولة فهي الـــتي ستمول هذه المدارس وهي التي ستسيرها. ففي نظرهم كأن المدارس الرسمية سنصبح تسير على نمط جمعية العلماء، ولكن خاب ظنهم في هذه، وأنتم تعرفون من تولى تسيير الجزائـــر بعد الاستقلال جلهم اشتراكيون، هـــذه الأوضـــاع أنـــتم تعرفونها، أغلبهم يميلون إلى الغرب فهم غربيون، ربتهم فرنسا على مبادئها وعلى لغتها ولا تزال هذه الحرب قائمـــة بـــين هؤلاء وأولئك هذه أمور تعرفونها.

لهذا خسرت الجزائر خسارة كبرى بذلك، وتعرفـــون المعركة القائمة الآن بين اللغة العربية واللغة الفرنسية هـــذه

كلها تعرفونها، سبب ذلك تخلي جمعية العلماء عن وظيفتها التي كانت تسير عليها، ونحن والحمد لله تعالى لم نتخل عنها مدارسنا قبل الاستقلال هي نفسها بعد الاستقلال.

○ ***هل في الإمكان أن نجد تفسيرا فنجيب على السؤال التالي: لماذا غابت عن العلماء الآخرين في جمعية العلماء الرؤية التي كانت للشيخ بيوض في هذا الموضوع ؟***

◎ ــ لماذا ؟ هذا ظنا منهم -كما قلنا - أن الدولة تسير على نمط جمعية العلماء، تسير سيرة إسلامية وفعلا سارت مسارهم في التعليم الأصلي ولكن جاء التعليم الأصلي في بضع سنوات إلا أنه ألغي بعد ذلك.

○ ***لكن إلى اليوم يوجد ما يعرف بالمدارس القرآنية التابعة لوزارة الأوقاف..***

◎ ــ هي خاصة بالقرآن فقط، فيما أعلم ليس هناك تعليم كما كان في مدارس جمعية العلماء.

○ ***ما يقال اليوم في إصلاح المنظومة التربوية من إبعاد مادة التربية الدينية من البرامج وتعويضها بالتربية الأخلاقية..***

◎ ــ وتعويضها بالتربية المدنية.

○ ***وتعويضها بالتربية المدنية أو الأخلاقية ومعهد الحياة شعاره: الأخلاق قبل العلم ومصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد فهل توافقونهم عل التربية المدنية أو الأخلاقية بدل التربية الدينية؟ ولماذا ؟***

◎ ــ لا نوافق على هذا، وإنما هذا خداع في الاسم، لماذا يتركون التربية الإسلامية، لا التربية المدنية ولا التربية الأخلاقية، لماذا تغيير الاسم؟. فالأخلاق في الحقيقة هي أخلاق القرآن وهي أخلاق الإسلام، ولكن الأخلاق عند هم شيء فضفاض، كأنها خاصة بتنظيم الأمور، أن تكون متخلقا يعني ملازما لوظيفتك مخلصا في وظيفتك نقوم بالأمانة في وظيفتك هكذا، تلك هي الأخلاق عندهم، ولكنكم تعرفون أن الأخلاق هو الإسلام والإسلام هو الأخلاق. وإنما أرادوا أن يسموه.. أنا في بالي يسمونه: التربية المدنية، يعني لا يريدون رائحة الإسلام، ولو في الاسم. وكما تعرفون هؤلاء المسيرين هم الذين زاغوا، ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الصف: 05. إذا اتبعنا هذه

المنظومة التربوية فإننا نسير إلى الهاوية، وهذه الشؤون معروفة لدى جميع الناس.

○ ***قالوا: إن المنظومة التربوية في حاجة إلى إصلاح. هل هي حقا في حاجة إلى إصلاح ؟ وإذا كانت في حاجة، ففي أي مجال ؟***

◎ ــ نعم هي في حاجة إلى إصلاح، إصلاح ديني، إصلاحها هو إرجاعها أولا إلى نظام مدارس جمعية العلماء السائرة من قبل أو إلى مدارسنا نحن الموجودة إلى الآن ذلك هو الإصلاح، سيروا على هذا النظام على معاهدنا في وادي ميزاب، أو معهد الشيخ بن باديس قبل الاستقلال فذلك هو الإصلاح، الإصلاح المساير للقرآن المستمد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فلنصلح هذه المنظومة على ضوء القرآن على ضوء السنة ذلك هو الإصلاح فهو إصلاح جذري. ولكن الإصلاح عندهم ليس فيه رائحة القرآن ولا رائحة السنة أبدا.

○ ***قد يقول قائل: إن ذلك عودة إلى الماضي ورجعية، و الإصلاح هو تعلم لغات وتقنيات. ألا ترون ذلك هو الصواب ؟***

◎ ــ نعم تعتبر العودة إلى الماضي رجعية وتعتبر ظلامية باعتبار الجاهلية قبل الإسلام، نعم فالرجوع إلى ذلك رجوع إلى الجاهلية الأولى، فهم لا يعرفون الله تعالى أبدا، وإنما يعرفون المادة، كما هي حالة قريش والبلاد العربية قبل الإسلام.

فالرجعية: أنا أفسرها بالرجوع إلى ما قبل الإسلام، لا الرجوع إلى ظهر الإسلام، لا، لا. ولو رجعنا إلى الإسلام الحقيقي إسلام الصحابة والتابعين ومن سار على دربهم إلى اليوم، لو رجعوا إلى ذلك لكان إصلاحا حقيقيا، وهو الإصلاح الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا هو الإصلاح.

نعم.. المنظومة التربوية محتاجة إلى إصلاح جذري بأتم معنى الكلمة، نعم.. يتطورون مع العصر، ولكن يعطون للإسلام حقه، وللعقيدة حقها، يجب ترسيخها قبل كل

شيء. وتحفيظ القرآن كل حسب استطاعته ثم بعد ذلك يعتمدون على العقيدة وعلى تاريخ الإسلام وعلى أخلاق القرآن وأخلاق الإسلام، هذا هو الإصلاح الذي نريده. فلو أرادوا للجزائر حياة صحيحة لرجعوا إلى هذا الإصلاح المستمد من القرآن والسنة النبوية ومن عصر الصحابة وسيرة الصحابة.

○ ***هذا لا يتعارض مع...*** [يقاطعني]

◎ ــ أبدا، لا يتعارض، بل يؤيد التكنولوجيا الحديثة، ويؤيد الحياة العصرية في أي ميدان شئت، والقرآن نفسه يدعو إلى هذا، يدعو ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ سورة الأنفال: 60. لم يقل ما استطعتم من مدافع أو من طيارات، لا، بل قال: **(من قوة)** والقوة معنوية ومادية كما تعرفون، وهي شاملة، فالقرآن يدعو إلى هذا..

○ ***شيخنا الكريم هناك من يرى أن العودة إلى الإسلام كأنه عودة إلى نصوص تدعو إلى قتال وجهاد وإرهاب إلى آخره.. ومن هنا أرادوا أن يعيشوا السلام والأمان والعافية ؟***

◎ ــ أعداء الإسلام يفسرون الإسلام بهذا التفسير الخاطئ، الإسلام لم يأت لمحاربة الناس، جاء يدعو إلى السلم أولا، ويدعو إلى نشر الدعوة .. ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ سورة آل عمران: 110. تأمرون بالمعروف.. نعم أمرنا بنشر دعوة الإسلام، أمرنا بنشر هذا الدين، ندخل البلاد، ندعوهم إلى التوحيد، فإن أبوا ندعوهم إلى ترك المجال لنشر دعوة الإسلام، فإذا عارضتمونا حاربناكم، وإذا تركتمونا أحرارا فأنتم أحرار في دينكم، لا إكراه في الدين، ونحن ندعو من هدى الله تعالى إلى الإسلام، والبلاد التي تعرفونها - نصف الدنيا- كلها دخلت في الإسلام على هذا النمط.

○ ***في نظركم، كيف يمكن إزالة تلك الفكرة من الآخر، فكرة رؤية الإسلام أنه الإرهاب والظلام ..؟***

◎ ــ يحتاج الأمر إلى رجال.. ولكن أين هؤلاء الرجال ؟ أين هؤلاء الذين يكوّنون هذا الصنف من الرجال ؟

أولا: ليكون هناك رجال صادقون، لا بد أنهم

موجدون، ولكنهم محاربون من كل ناحية، ولكن هذا من ضعفهم، لو كان هؤلاء مؤمنين حقا يريدون للإسلام حياة طيبة لجاهدوا كما جاهدت جمعية العلماء في أوقات الاستعمار، وكما جاهدنا طول حياتنا في وقت الاستعمار القائم الغاشم الذي هو أخبث استعمار في الدنيا قاومناه بدون إخلال بديننا، قاومته جمعية العلماء حتى أخرجته من الأرض ولكن الذين أخرجوا الاستعمار بنيت دعوتهم على دعوة الإسلام وعلى دعوة جمعية العلماء وعلى دعوتنا. لو لم يدعوا الشعب إلى محاربة هؤلاء بأنهم مشركون وأنهم استعماريون وأن الإسلام هو الدين الذي يجمعنا لما نجحوا، لو دعوا إلى عصبية غير الإسلام لما نجحوا، ولما كان الشعب وراءهم. وإنما قادة الثورة — والحمد لله - قد نصوا على مبادئ الإسلام، هذه المبادئ التي جندت الشعب كله لمحاربة الاستعمار حتى ألقته في البحر، لولا هذه المادة لما استطاعوا أن يفعلوا شيئا، لو حاربوا من أجل الوطنية فقط ما استطاعوا أن يخرجوا فرنسا أبدا، ولا يكون الشعب وراءهم.

الحلقة الثالثة:

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كما يراها أحد أعضائها الأوائل

وعمره تجاوز المائة سنة

تمهيد:

في هذه الحلقة الأخيرة يتحدث الشيخ (شريفي سعيد) عن بعض جوانب من تاريخ جمعية العلماء، وعن دورها أيام الاستعمار، وعن ضرورة أداء دورها في الحياة الجزائرية المعاصرة.

○ ***جمعية العلماء في يومنا هذا كأنها غير موجودة، فما السبيل لتفعيلها من جديد ؟***

◎ ــ جمعية العلماء موجودة ولكن أهلها ضعاف ماديا وأدبيا، والمخلصون موجودون لا أقول غير موجودين لكنهم أشخاص قليلون، فهؤلاء الأقلية لو تماسكوا – كما هم سائرون الآن – لو تماسكوا وزادوا إخلاصا وجاهدوا ودعوا إلى نهجهم لوجدوا أعوانا ووجدوا صوتا مسموعا لدى الشعب ولانقلبت الحياة.

أنا أعتبر أن لو كان هناك إخلاص تام، ونصرة تامة، لمسيري جمعية العلماء، لتوسعت دائرتهم ولنجحوا. نعم.. الآن.. الجمعية كأنها غير موجودة، لولا (البصائر) تذكرهم بأنه هناك مؤسسة لما استطعنا أن نقول هناك جمعية، بضعة

أفراد يعدون على الأصابع، هؤلاء لو زادوا جهادا وإخلاصا ومثابرة لاتسعت دائرتهم بعد ذلك. والشعب في استعداد كما استعد في وقت الاستعمار لتلقي دعوة جمعية العلماء فهو في استعداد كذلك الآن لتلقي الإسلام على حقيقته. إذا هؤلاء المسيرون للجمعية ليكونوا في مستوى العلماء الربانيين أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، فهم ضعاف ماديا، وأدبيا، ينقصهم المزيد من الإرادة والمزيد من الإخلاص وينقصهم التأييد القوي والفعال أدبيا وروحيا وماديا وبشريا.

○ ***ما الذي تقترحونه عمليا لتنطلق الجمعية في أداء دورها ؟***

◎ ــ أقترح أن يوجد بضعة أشخاص مخلصون عملهم لله تعالى لا يريدون من ذلك جزاء ولا شكورا، إخلاصا تاما، والإخلاص: ليس معناه: — كما قلت مرارا - هو فقط أن تتقن عملك، الإخلاص هو: أن يكون العمل لوجه الله تعالى تتحمل الأذى وتصبر عليه، وتشكر النعمة كذلك، وأن تعمل لوجه الله لا تريد جزاء ولا شكورا كما قال الله تعالى.

اعمل لوجه الله تعالى، فالله يقول: ﴿ وعد الله الذين ءآمنوا

منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾ سورة النور: 55. بشرط لابد منه - ووعد الله لا يخلف أبدا- يعبدونني. ثم بعد ذلك أكد أن العبادة لا تكفي وحدها، ولكن لا يشركون بي شيئا أبدا. إذا كنت تعمل في هذه السبيل وأنت تريد جاها وأنت تريد مدحا وأنت تريد مالا فأنت غير عابد، إنك أشركت بالله شيئا، إنما ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ سورة الكهف: 110. العمل الصالح اعتبره الله تعالى عبادة، على أن لا يشرك به أحد، فإذا عملت عملا صالحا: جمعية، أو تبرعا، أو غيرها، وأردت بذلك شيئا غير الله، فلقد أشركت بالله تعالى.

إذا، أنا أقول من في هذه الطريق يحتاج إلى الكثير الكثير من الجهد والإخلاص، فلو كانت هناك طائفة من 10 أو 15 فردا أو ما تيسر، ونذروا أنفسهم ليكونوا مخلصين

مجاهدين مضحين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله تعالى لصارت العشرات مئات، والمئات آلاف، والآلاف ملايين.

○ ***لتكونوا أحد هؤلاء، خاصة وأنتم أحد مؤسسي هذه الجمعية جمعية علماء المسلمين ؟***

◎ ــ أولا: لم أكن من المؤسسين أبدا، وإنما من الأعضاء الأولين، في السنة الثانية، لا في السنة الأولى. فالسنة الأولى حضرها الشيخ بيوض، وفي الثانية حضرتها بعد أن تأسست، فكنت عضوا عاملا كسائر الأعضاء، لا عضوا إداريا، فأنا كسائر الأعضاء، أؤيدها بالقول وأدعو لها وأعمل عملها، لأن عملنا هنا في وادي ميزاب هي نفس أعمال جمعية علماء، وربما تفوقها. نحن سابقون لجمعية العلماء في هذا العمل الإصلاحي، نحن بدأنا عملنا الإصلاحي في أوائل العشرينات، والإصلاح سائر لا في التعليم فقط، وجاءت جمعية العلماء تابعة لمسيرتنا مؤيدة لها، وليس عندها ما يخالف مسيرتنا، فنحن سبقناهم في هذا الإصلاح ونؤيدهم ولا نزال.

○ ***لقيت الجمعية معارضة في بداية الأمر هنا في ميـــزاب خوفا أن تكون السلطة*** ..[يقاطعني]

◎ ــ السلطة تعارضها في وادي ميـــزاب وفي كـــل مكان حتى أن الشيخ بيوض لما ذهب إلى جمعية العلماء بدون إذن من السلطة هنا عاقبته بغرامة 50 فرنك لأنه ذهـــب إلى الجزائر بدون إذن منها. أي عقوبة هذه ؟ لم يكن هناك مـــن يسافر من القرارة أو من غرداية إلى الجزائر بإذن من السلطة أبدا، وإنما هذا ظلم.

○ ***هناك من الأهالي من خشي الانضمام إلى هذه الجمعية حذرا من أن تكون الجمعية في قبضة...*** [يقاطعني]

◎ ــ لا، لا، الجمعية لم تخالف مبادئنـــا، فمبادئنـــا ظاهرة ما فيها شك، والجمعية سارت على هـــذه المبـــادئ، مبادئ القرآن ومبادئ السنة، هذه هي المبادئ التي ســـارت عليها الجمعية، وقد سبقناها في هذه المبادئ.

○ ***وقع بعض الخلل على مستوى قيادة الجمعية في بداية مسيرتها، حسب معلوماتكم: ما هي الأسباب ؟ وما هي النتائج ؟ ومن ورائها ؟***

◎ ــ إذا كان هناك بعض الخلل فلا أذكره الآن، نعم.. هناك شيء من الخلاف بين الأعضاء ولكن هذا الخلاف طبيعي وإنما يمكن أن أذكر الخلاف الذي جاء بسبب الاستعمار في السنة الثانية من تأسيس الجمعية عندما أعطت السلطة الرخصة لجمعية العلماء ورأت نجاحها في السنة الأولى بما قدمته من الدروس والمواعظ في المساجد خشيت عاقبة هذه الجمعية فأوعزت إلى بعض الطرقيين وكانوا أعداء للجمعية قطعا، فأوعزت إليهم بعرقلتها، بتكوين جمعية السنة لتكون ضد هذه الجمعية، وحاولوا أن يوقعوا انقلابا في الإدارة بانتخاب مديرين لهذه الجمعية يكونون منهم، فتبقى الجمعية هي هي، ولكن إدارتها من هؤلاء، يسيرها الاستعمار كما يريد.

ولكن الأعضاء القدماء من جمعية العلماء الذين انتخبوا

في السنة الأولى استمروا وثبتوا ثبات الأنداد ثباتا قويا، وكاد أن يقع انقلاب. لقد حضرت شخصيا في هذه المعركة القائمة في نادي الترقي لما وقع الانتخاب، يوما كاملا، والجدال قائم بين رئيس النادي الذي اشترته الحكومة ليحارب هذه الجمعية، وبين رئيس الجمعية الشيخ بن باديس، عراك شديد، أزيد من ساعتين والجدال قائم بينهما، هذا يجيب وذلك يجيب كل ينقض حجج الآخر، أخيرا انتصرت جمعية العلماء وانتخبنا الإدارة الأولى نفسها مع تعديل طفيف.

○ ***ذكرتم أن من الطرقيين من ناصب العداء للجمعية، ولكننا اليوم نرى الطرقيين جزءا من جمعية العلماء المسلمين وهم يرون أنهم جزء منها، ولا يناصبون لها أي عداء. ما رأيكم؟***

◎ ــ العراك بين الإصلاح وبين الطريقين كان قبل تأسيس جمعية العلماء، العراك بدأ من أواسط العشرينات، لما أنشئت جريدة (الشهاب)، سنة 1925 وجريدة (وادي ميزاب) سنة 1926 بهذه الجرائد بدأ العراك، وخصوصا من

قبل الشيخ بن باديس ومن معه من بعض المصلحين، كالشيخ العقبي في جريدة (الإصلاح)، كانوا يحاربون الطرقيين قبل تأسيس جمعية العلماء كانت لهم مقالات شديدة اللهجة لمحاربة البدع والخرافات هذه قبل تأسيس جمعية العلماء، فلما جاءت جمعية العلماء أيدت هذه الجرائد، وأيدت هذا الإصلاح، فتقوى هذا الإصلاح حتى ساروا إلى معارضة الحكومة في بعض الجوانب، فأرادت القضاء على هذا الإصلاح بتأسيس جمعية رسمية تحارب هذه الجمعية هي جمعية السنة ولكن لم تدم طويلا لأنها أسست لغير الله تعالى.

○ ***إن وجود الطرقيين اليوم في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واقع لا نزاع فيه ؟***

◎ ــ نعم هؤلاء اليوم من الجمعية، والجمعية لم تحارب الطرقيين الذين حاربتهم لأنهم انتسبوا إلى الطريقة، وإنما حاربتهم للبدع والخرافات التي كانت، والدجل الذي وقعوا فيه، والعادات المنكرة. وإن هؤلاء الذين انتسبوا إلى جمعية العلماء لا يأتون بتلك العادات أبدا ليس عندهم من

العقائد ما يجعلهم وكأنهم يعبدون إلها من دون الله، فالـــذين ينتمون إلى جمعية العلماء قد أخذوا مبادئها.

○ ***وأنتم أحد الأوائل في جمعية العلماء المسلمين ما هـــو أملكم – آنذاك – من جمعية العلماء ؟***

◎ ــ أملنا هو أمل جميع المنخرطين في هذه الجمعيـــة أملهم في الإصلاح العام سواء وصلوا إلى الغاية أو سارو في طريق المؤدي إلى الغاية.

○ ***ما هي الغاية ؟***

◎ ــ الغاية هي نشر الإسلام، إعلاء كلمة الله، مـــن سار على الطريق فهو ناجح، ومن لم يسر عليها لا يـــنجح أبدا. الغاية هي نشر الإسلام الصحيح.

○ ***هل من غايات اجتماعية مثلا ؟***

◎ ــ نعم.. الغايات الاجتماعية مثل الغايـــات الـــتي تسير فيها مجتمعاتنا في وادي ميزاب فهـــي أحســـن مثـــال للمجتمع الإسلامي، ليست عندنا حاجات تنتقد إلا قلـــيلا، كأن تكون هناك بعض التقاليد وبعض العادات وهي لا تعتبر

شيئا يذكر، وإنما مجتمعنا بما يتميز من عمارة المساجد وتكوين المدارس الإسلامية وتنظيم العشائر والإصلاح العام والقيام باليتامى هذه كلها أمور يدعو إليها الإسلام وهذا هو الإصلاح الذي ندعو إليه وإلى اليوم وأملنا أن تكون الجزائر على هذا النمط ونحن نعمل دائما ونقول لطلبتنا: اعملوا لتصلحوا – لا لأن تصلحوا هذه المنطقة فقط – ولكن اعملوا لتصلحوا وطنكم الجزائر، فبصلاحه ينتشر الخير في العالم كله، اصلحوا بما صلح به أول هذه الأمة. كانت الدنيا كلها ظلاما وجاء الإسلام فأخرجها من الظلمات إلى النور، تستطيعون بهذا الإسلام كذلك أن تخرجوا العالم من الظلمات إلى النور وسنة الله تبارك وتعالى لا تتغير. هذه هي غايتنا.

○ ***بعد عشر سنوات مضت على الجزائر في تقلبات وقد تضرر الجميع في الداخل وتضررت سمعة الجزائر في الخارج هل من أمل في جمعية العلماء لدور تقوم به ؟***

◎ ــ أملنا في دورها ما قلت لك سابقا، جمعية العلماء مسؤولة، وكل مسلم جزائري مسؤول كذلك، لا

جمعية العلماء وحدها. هذه الهيئة هي مسؤولة بالدرجة الأولى بإصلاح الوضع، بإصلاح نفسها أولا، بأن يكون كل عضو فيها مسلما حقيقيا عاملا لوجه الله تعالى وبهذا الإصلاح تستطيع أن تصلح ما حولها.

○ ***يبدو أن الواقع قد طغى وسيطغى بأحداثه فيؤثر سلبا على الجمعية ؟***

◎ ــ لا، لا، الجمعية هي التي تؤثر بمبادئها، بما عندها من القرآن، بما عندها من سنة، لا تكون متأثرة. عندها مبادئ صحيحة لا يستطيع أحد أن ينتقدها أبدا، خاصة إذا كان مسلما. إذن، لا تتأثر بالوضع، فهي التي تِؤثر في الوضع.

○ ***أنى لها ذلك التأثير إذا كانت معدومة الوسائل، جريدتها ضعيفة لا تزال تحتاج إلى قوة في النشر، أنى لها ذلك ومدارسها ملغاة منذ زمان، كيف ستؤثر ؟ ربما لكم ما تقولونه ؟***

◎ ــ كيف تؤثر؟ عندها طريق جربتها من قبل، فقد أثرت في وقت الاستعمار، في الوقت الذي يسجن فيه معلم

العربية ومعلم المدرسة الحرة، في هذا الوقت كونوا مدارس، كونوا علماء، كونوا شعراء وخطباء وكتابا. لـــولا هـــذه المدارس، مدارس جمعية العلماء التي جاءت..

○ ***إذن عليها أن تؤسس مدارس ؟***

◎ ــ نعم عليها أن تؤسس مدارس، عليها أن تسير في الطريق التي سارت عليها جمعية العلماء من قبل، ففي ثنايـــا السلطة اليوم من يخدم بنفوذه أهداف الاستعمار، حقيقة هو استعمار من نوع آخر، اعتبروا أنفسكم أنكم جئتم أساســـا لإصلاح هذا المجتمع كما اعتبرت نفسها جمعية العلماء مـــن قبل: الشيخ بن باديس الشيخ الإبراهيمي الشيخ بيوض الشيخ أبو اليقظان وغيرهم من المشايخ اعتـــبروا ذلـــك اســـتعمارا فاعتبروا أنتم أذناب الاستعمار كذلك. تعرفون أن تصرفاتهم خارجة عن الدين تحارب الدين تحارب الأخـــلاق تحـــارب الإسلام وهكذا يدعون إلى ليّ كـــل شـــيء وإن لم يـــدعوا بأقوالهم فإنهم يدعون بأفعالهم وأعمالهم، إذا حاربوهم كمـــا حاربهم أجدادكم وآباؤكم من قبل. ولكـــن أيـــن هـــؤلاء

المحاربون؟ نواتهم هي هذه الجمعية، هي النواة. إذا أخلصت العمل تستطيع أن تصل غايتها. اعطني الإخلاص فقط، أن يخلصوا العمل لوجه الله تعالى أن يتحدوا فيما بينهم، لا يتنافسون في رئاسة، ولا يتنافسون في شيء ولا يطلبون راتبا إلا من عند الله تعالى إذا جاءوا على هذه الشروط ينجحون قطعا كما نجح آباؤهم وكما نجح الصحابة والرسول صلى الله عليه وسلم إمامهم.

○ ***ذكرتم أثناء حديثكم أن الجمعية نجحت حين جمعت الأمة على الإسلام لا على الوطن..***

◎ ــ نعم.

○ ***وبذلك استطاعت أن تأتي أكلها، ما رأيكم في الأحداث الفلسطينية اليوم؟ألاجتماعهم على الأرض لا على الدين صارت الخيبة تلاحقهم ؟***

◎ ــ لا أعرف بما أجيبك في هذه النقطة، أجيبك: بأنهم لو كانوا مسلمين حقيقة لانتصروا، ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ سورة محمد ﷺ: 07. ولماذا كمشة من اليهود

تتغلب على مئات الملايين من المسلمين العرب ؟ وإذا أضفنا إليهم غير العرب قلنا: مليارا ؟ كيف 200 مليون من العرب وأزيد لا يستطيعون أن يغلبوا 4 ملايين أو 5 من الصهيونيين؟ هذا شيء لا يقبله العقل، ليسو مسلمين حقيقة، لو كانوا مسلمين حقيقة لتغلبوا عليهم، لما وصلوا إلى هذه الحالة، هذا هو السبب. فليرجع هؤلاء إلى الإسلام. ويعبدون الله تعالى حق العبادة، ويعملون لوجه الله تعالى، الله تعالى ينصرهم، وعد الله، لا يخلف الله الميعاد أبدا. ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ سورة محمد ﷺ: 07. فالله جل وعلا يأمرنا: انصروا الله تعالى في أنفسكم وفي ذويكم وفي عشائركم وفي أوساطكم، فإن الله تعالى ينصركم قطعا، ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ سورة المنافقون: 08. أعطونا مؤمنين صادقين يصبحوا أعزاء كرماء. لا وجود لهؤلاء (الله غالب).

○ ***والأرض مقابل السلام لا يجدي نفعا ؟***

◎ ــ لا تجدي، أبدا، النفع لا يكون إلا للقوة. إذا لم

يكن هناك إخلاص في الأوساط، يصبح القوي هو الغالب. القوي ولو كان ضعيفا في عدده فإنه يغلب بسبب قوته، الذي هو كثير ضعيف، بضعة ملايين يغلبون 200 مليونا عربيا أو مليارا مسلما أو أكثر من المليار.

في الحقيقة إن المسلمين كلهم مسؤولون عن هذا الوطن، مسؤولون عن المسجد الحرام، المسجد الأقصى، كلنا مسؤولون، ليس ذلك خاصا بالعرب فقط. كل المسلمين لو تكاتفوا واتفقوا كما تعرفون لألقوا اليهود في البحر في يوم وليلة ما في ذلك شك.

○ ***نرجع إلى الجزائر، ما هي نظرتكم إلى مستقبل الجزائر في ظل الواقع الراهن هل أنتم متشائمون أم متفائلون ؟***

◎ ــ عندي شيء من التفاؤل، فالمسلمون المتصدرون للإسلام سواء في جمعية العلماء أو في غير جمعية العلماء يصدمهم الواقع أظن أن لهم وعيا وشيئا من الإيمان، وسيراجعون أنفسهم، ويبدلون من حالهم، ويشعرون أنهم مسلمون حقيقيون. عندي شيء من التفاؤل. فإذا وقع عليهم

الضغط انفجروا قطعا، لا تدوم حالاتهم، سواء في الجزائر و في غير الجزائر. أنا متفائل من هذه الناحية. الضغط يولد الانفجار نسأل الله السلامة وحسن العاقبة.

○ ***على الرغم من الهجمة الشرسة على الإسلام في وسائل الإعلام وفي مناهج التربية ؟***

◎ ــ نعم.. رغم ذلك، هذه الهجمة تقابل كذلك من المسلمين الحقيقيين الذين يدافعون عن الإسلام ويجادلون بالتي هي أحسن وبالتي هي أخشن سواء، فهم ضد آخر، فما كان جميع المسلمين نائمين، لا، ليسوا نائمين، فهم قائمون بواجباتهم على كل حال، على ضعف في هذا القيام، ولكن سيصدمهم الواقع ما زال، كأنهم لم يصطدموا كما يلزم. أنا عندي تفاؤل إن شاء الله لتعود إلى الإسلام عزته.

○ ***طوال قرن من الزمن وأنتم تتعاملون مع فئة الشباب كيف ترونهم في السابق، وكيف ترونهم في الحاضر ؟ هل من أمل فيهم كبير ؟***

◎ ــ شباب ميزاب أم شباب الجزائر ؟

○ ***شباب الجزائر ؟***

◎ ــ الذي يقال للكبار والكهــول يقال للشــباب كذلك، ففيهم الرجاء كذلك سواء شباب الجامعات أو غير الجامعات فيهم شيء من الرجاء إذا وجدوا في الكبار قيــادة متحدة، مستقيمة، حكيمة، فيقينا إن الشباب سيتبع، ففيهم الخير إن شاء الله. ويستطيعون بأنفسهم ولو من غير تبعية إذا وجدوا تأييدا، ووجدوا من يمد لهم يده، فإنهم يستطيعون أن يجعلوا استقلالا بأنفسهم فيصلحون ما أفسده الدهر.

○ ***أنتم من محبي القراءة والمطالعة كثيرا، ومن قــراءتكم الصحف، ما هي الصحف التي تطلعون عليها كثيرا ؟ وما رأيكم في الصحافة الجزائرية عموما ؟***

◎ ــ أطلع في الصحافة عموما علــى مــا يتعلــق بالأخبار، وخصوصا الأخبار العربية وأخبار الإسلام وأعتمد كثيرا في الآونة الأخيرة على الشروق اليــومي بالخصــوص وحتى على الشروق الأسبوعي وإن كانت هــذه الأخــيرة ليست إسلامية على وجه الحقيقية، ففيها ما فيهــا ممــا لا أطالعه، كذلك أطلع على جريدة جمعية العلمــاء المســلمين

الجزائريين، حقيقة هي ليست البصائر التي كانت في زمان الشيخ الإبراهيمي، ولكن على كل حال هي أحسن جريدة إسلامية في الجزائر، هي التي تدافع عن الإسلام وفيها فصول مهمة بالغة الأهمية، أود كما قلت مرارا لو أن الميزابيين كلهم يشاركون فيها بالاشتراك، بالإعانة المادية، فهي جريدة دفاعية أريد أن تكون أقوى من هذه الحالة.

○ ***كلمة أخيرة شيخنا الكريم.***

◎ ــ آخر كلمة ؟ كل شيء قلته منذ الصباح، آخر كلمة: قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ سورة الكهف: 110. (صدق الله العظيم)، اعمل عملا صالحا، بعد ذلك اقصد به وجه الله تعالى فقط تجد ثمرة حلوة، تجد نصرا في الدنيا وجزاء في الآخرة إن شاء الله، هذه الكلمة التي أقولها.

حاوره الأستاذ: عمر إسماعيل آل حكيم.

الخاتمة:

هي رحلة قطعناها مع شيخنا وأستاذنا (الشيخ عدون) في حوارنا هذا، وقطعة اقتطعناها من حياة رجل نذر نفسه للعلم وللاسلام وللوطن. إذ اجتهد مؤديا واجبه على مدى قرن من الزمن وقاطعا العهد على نفسه بأن سيقوم بدوره في هذا الوجود ما دام قادرا على ذلك إلى أن يناديه ربه إلى جواره.

★ لقد كان شيخنا وأستاذنا نموذجا يقتدي به كل من أن أراد أن يعتبر من حياة السابقين، من حياة المخلصين العاملين الذين يسعون في الارض تعميرا بالخير والصلاح.

★ لقد كان في أزيد من قرن في كفاح للتربية والتعليم للاصلاح والتغير، للعمل الاجتماعي، للوحدة الوطنية.

★ كان طول عمره مهتما متابعا بل مساهما في تطورات الحياة الوطنية، ومنشغلا بحال المسلمين في مشارق الارض

ومغاربها، لا ينقطع عن قراءة الصحف ومتابعة المستجدات بكل الوسائل.

★ همه نشر العلم، وخدمة الدعوة إلى الله بكل السبل لأنهما الأمانة التي حمّلهما دين الاسلام كل معتنق هذه الرسالة الخاتمة، ولطالما ردد شعارا تحمله مجلة: (*الفتح*) ـ كانوا يتابعونها في النصف الأول من القرن الماضي ـ الذي يقول:

" أنت على ثغر من ثغور الاسلام فاحذر أن يؤتى هذا الثغر من قبلك "

★ لقد نال شيخنا في آخر حياته تكريما من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لرئاستها رئاسة شرفية وذلك في الأيام التأبينية لفقيد الجزائر الداعية الشيخ أحمد سحنون رحمه الله.

★ **وإلى لقاء آخر باذن الله، مع شخصية أخرى.**

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

كلمات مضيئة..... 05

المقدمة..... 07

الحلقة الأولى:

حوار مع الشيخ في الذكرى المائوية

حول نشأة الشيخ..... 11

بين التدريس والتفتيش..... 16

مهام أخرى..... 21

الحلقة الثانية:

المنظومة التربوية الجزائرية

البرامج الدراسية في معهد الحياة..... 24

مجلات مشرقية..... 26

الجمعيات الأدبية..... 27

تطوير البرامج في معهد الحياة..... 29

مدارس جمعية العلماء المسلمين..... 32

إصلاح المنظومة التربوية الجزائرية..... 34

التربية ومسألة الإرهاب..... 38

مختويات الكتاب

الموضوع الصفحة

الحلقة الثالثة:

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الجمعية في يومنا هذا..... 42

الجمعية في أيامها الأولى..... 45

الجمعية والطرقيون..... 48

غاية الجمعية..... 50

الجمعية والعشرية الحمراء..... 51

الجمعية ووسائل التأثير..... 52

القضية الفلسطينية..... 54

مستقبل الجزائر..... 56

شباب الجزائر..... 57

الصحافة الجزائرية..... 58

الخاتمة..... 60

الفهرسة..... 62

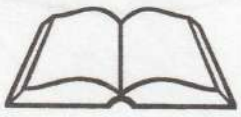

تم بحمد الله

هذا الكتاب

✪ يتناول الكتاب حوارًا صادقا مخلصا مع أحد أعمدة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأحد مشائخ منطقة وادي مزاب : الشيخ سعيد بن بلحاج شريفي المعروف بالشيخ عدون.

✪ يتناول الحوار مسائل تتعلق بنشأة الشيخ وحياته، وبالمنظومة التربوية الجزائرية سابقا وحاضرًا، وبجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

✪ يتناول الحوار حديثا عن أوضاع الجزائر ومستقبل شبابها، وعن أوضاع المسلمين في العالم، وعن القضية الفلسطينية ورؤية الشيخ حولها.

✪ وبين تلك المسائل والقضايا كثير من المسائل الأخر التي لا يمكن الاستغناء عنها...

المؤلف.

الأعضاء الأوائل في جمعية
العلماء المسلمين الجزائريين

كلمة توجيهية

مع رئيس
الجمهورية الجزائرية

حفل تخرج دفعة
من (إروان) حفظة
القرآن الكريم

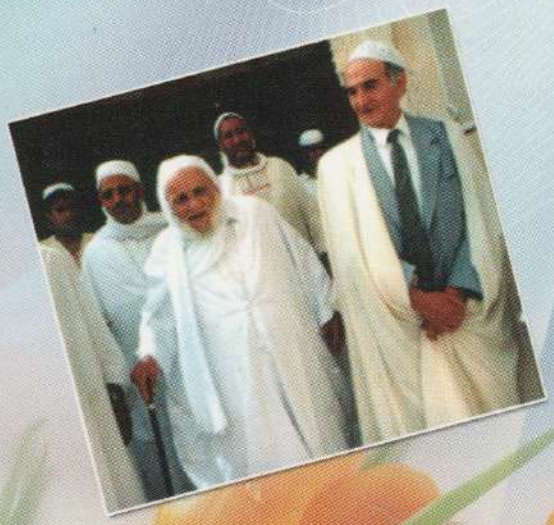

في استقبال
شخصيات وطنية

مقابلة
مع شاهد القرن

هذا الكتاب:

* يتناول الكتاب حوارا صادقا مخلصا مع أحد أعمدة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأحد مشائخ منطقة وادي ميزاب: الشيخ سعيد بن بلحاج شريفي المعروف بالشيخ عدون.

* يتناول الحوار مسائل تتعلق بنشأة الشيخ وحياته، وبالمنظومة التربوية الجزائرية سابقا وحاضرا، وبجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

* يتناول الحوار حديثا عن أوضاع الجزائر ومستقبل شبابها، وعن أوضاع المسلمين في العالم، وعن القضية الفلسطينية ورؤية الشيخ حولها.

* وبين تلك المسائل والقضايا كثير من المسائل الأخر التي لا يمكن الاستغناء عنها...

المؤلف